الصداقة الصينية العربية

مساهمات المسلمين الصينيين فى التاريخ (١)

بقلم : الاستاذ جمال الدين باى شو يى *

فى سبتمبر (ايلول) من السنة الماضية ، حضر الاستاذ جمال الدين باى شو يى الملتقى الـ ١٣ للتعرف على الفكر الاسلامى الذى عقد فى مدينة تمانراست فى الجزائر تلبية لدعوة من وزارة الشؤون الدينية الجزائرية ، كما القى فيه خطابا اكاديميا بعنوان « مساهمات المسلمين الصينيين فى التاريخ » . وفى العدد الـ ٥١ من السنة الماضية اصدرت مجلتنا تقريرا حول زيارة الاستاذ باى بعنوان « المسلمون الصينيون اخوة للمسلمين العرب » . وبموافقة الاستاذ باى تصدر مجلتنا نص خطابه الكامل فى جزئين ابتداء من هذا العدد . — المحرر

دخل الاسلام فى الصين منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة، وبلغ عدد المسلمين الصينيين حوالى عشرة ملايين نسمة ينتسبون الى عشر قوميات . وقد قدموا مساهماتهم فى بناء البلاد وتطوير اواصر الصداقة مع شعوب الدول العربية والاسلامية ومع كافة المسلمين ، شأنهم فى ذلك شأن ابناء القوميات الاخرى الذين يعيشون ويعملون ويكافحون معهم .

منجزات علمية

قال النبى محمد عليه الصلاة والسلام : " اطلبوا العلم ولو فى الصين " . واتباعا لهذا الحديث الشريف اوفد الخلفاء مندوبيهم الدبلوماسيين الى الصين . وقد وصل الوفد الاول المبعوث من قبل الخليفة الثالث عثمان بن عفان الى مدينة تشانغآن عاصمة الصين آنذاك فى اليوم الثانى من محرم سنة ٣١ هـ الموافق ٢٥ آب (اغسطس) سنة ٦٥١ م فى عهد اسرة تانغ الملكية ، كما استقبله امبراطور الصين ايذانا بتدشين جسر الصداقة بين الصين والعرب . ومنذ القرن السابع توافد المسلمون العرب الى الصين للتجارة عن طريق البحر والبر حسب ما ورد فى السجلات التاريخية . ويمتد طريق البحر الذى اتبعوه من شبه جزيرة العرب الى مدن قوانغتشو (كانتون) وتشيوانتشو (الزيتون) وهانغتشو ويانغتشو حتى تشانغآن عاصمة الصين عبر خليج منار وخليج البنغال ومضيق ملقا وبحر الصين الجنوبى بينما يمتد طريق البر من فارس وافغانستان الى تشانغآن عبر مقاطعة شينجيانغ (سينكيانج) .

وبفضل استيطان بعض اولئك المسلمين فى الصين واعتناق بعض الصينيين الاسلام ، انتشر الاسلام فى الصين بالتدريج خلال اكثر من الف وثلاثمائة سنة . وقد قدم المسلمون الصينيون مساهماتهم فى مختلف المجالات . دعونا نتكلم اولا عن منجزاتهم العلمية وحماستهم فى استقصاء المعارف .

قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم التى تخصص فيها المسلمون العرب وادخالها الى الصين وخاصة علم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والتقـــويم . اما الادوية والوصفات والمعلومات الطبية الاخرى التى نقلوها الى الصين فقد ذكرت فى اجزاء كثيرة من كتاب « اصناف العقاقير الصينية » الذى طبع فى القرن الثانى عشر ، وكتاب « الموسوعة الطبية الصينية » الذى طبع فى القرن السادس عشر . وكان المسلمون الصينيون يقومون برصد احوال الجو بمساعدة علم الفلك العربى والفارسى . وفى القرن الثالث عشر انشئت ادارة اسلامية خاصة بمراقبة الارصاد الجوية ووضع التقـويم الصينى . وفى سنة ١٢٦٧ اخترع الفلكى المسلم جمال الدين سبعة انواع من الاجهزة الفلكية مثل " المنوأة المتعددة الحلقات " و" المنوأة الموجهة " و" الكرة السماوية " و" الكرة الارضية " الخ . وكان التقويم الهجرى مرجعا هاما لوضع التقويم الصينى على مدار اربعمائة سنة ابتداء من اواسط القرن الثالث عشر . وفى عام ١٣٨٢ تكللت جهود مشايخ احد المسلمين بالنجاح فى ترجمة الكتب العربية الخاصة بالتقويم والجغرافيا والفلك مما كسب الاطراء من قبل بلاط الامبراطور . وحيث ان الرياضيات هى اساس علم الفلك فقد انتقلت الكتب الرياضية العربية هى الاخرى الى الصين فى نفس الوقت . وقد اثبتت ذلك السجلات التاريخية فى عهد اسرة يوان الملكية . ونتيجة لذلك انبثقت اعداد كبيرة من الاكفاء فى علم الفلك والرياضيات من بين المسلمين الصينيين فى عهد اسرتى يوان ومينغ الملكيتين .

وقد عرف المسلمون الصينيون بمهارتهم الفائقة فى البناء المعمارى . وخلال الايام الاولى لدخول الاسلام فى الصين بنوا مساجد فى تشانغآن وقوانغتشو وتشيوانتشو وهانغتشو لاداء

شعائرهم الدينية ، ومسجد هانغتشو الذى بناه علاء الدين فى اوائل القرن الرابع عشر كان قد نال ثناء الرحالة العربى ابن بطوطة وقت زيارته للصين . وقد رمم هذا المسجد مرات عديدة ولا يزال باقيا حتى الآن . وقد كلف اختيار الدين البناء المرموق بمهمة هندسة القصور لأسرة يوان الملكية سنة ١٢٦٦ م مما ارسى اساسا لبناء قصر الامبراطور الحالى ببكين .

وفى الوقت الذى قام فيه المسلمون الصينيون بتطوير ثقافتهم الخاصة بهم اولوا اهتمامهم باستيعاب ثقافات القوميات الاخرى . وتعتبر الموسيقى والرقص لقوميتى ويغور وقازاق ، والاغانى الشعبية لقوميات هوى ودونغشيانغ وسالا من روائع الوان الثقافة الصينية . وفى سبعينات القرن الحادى عشر كتب الحاج يوسف هاس قصائد روائية بعنوان « حكمة السعادة والبركة » تشتمل على ١٣٫٢٩٠ بيتا ، وتعتبر مع « ١٢ مقاما » يشمل ٣٤٠ اغنية وتتناقله ألسنة الويغوريين مدة طويلة من الاعمال القيمة للادب الصينى بينما تمد « ماناس » – وهى ملحمة – من نماذج الادب الشعبى لقومية خلخاس . وفى الفترة ما بين القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر عرف الرسّام المسلم قاو كه قونغ المتوفى سنة ١٣١٠ برسم المناظر الطبيعية بوجه عام ، ورسم الغابات الجبلية المكسوة بالضباب بوجه خاص . وبفضل انكبابه على جلب كل ما هو مفيد لابداعه من سائر المدارس الفنية الشهيرة آنذاك فقد تم له ايجاد مدرسة فنية خاصة به ، علما بأن شجيرات الخيزران التى رسمها تعد من فرائد الاعمال الفنية فى زمانه . واشتهر سعد الله (١٣٠٠ – ١٣٦٠) بقصائده فى زمانه . وقد كتب شمس الدين (١٢٧٨ – ١٣٥١) مؤلفات كثيرة وكان معروفا بسعة اطلاعه للادب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك والجغرافيا ومشاريع الرى . وبعد القرن الخامس عشر برز عدد غير قليل من الشعراء والادباء والرسامين من بين المسلمين الصينيين . بالاضافة الى الرسام المسلم قاى تشى (١٧٧٤ – ١٨٢٩) البارع فى رسم الوجوه وخاصة فى رسم السحلبيات والبامبو فان هناك مسلمين لمعت اسماؤهم مثل بدر الدين ، ماى ليوى ، دينغ خه نيان ، جين ذا تشه ، جين دا يوى ، شان جى دى ، ما شى جيون وساى يوى الخ . . . وجدير بالذكر ان لى تشى (١٥٢٧ – ١٦٠٢) المفكر والمؤرخ والنقاد الادبى المسلم كان جريئا الى درجة انه قد وجه رمح النقد الى الافكار الاقطاعية والنظم الاجتماعية الاقطاعية السائدة آنذاك وفضح اضرارها على تقدم المجتمع . ولذا فان منجزاته العلمية ظلت موضع الاهتمام لدى العلماء الصينيين . اما مؤلفاته النموذجية : « تسانغشو » (كتاب مستتر) وملحقاته و« فينشو » (كتاب محروق) وملحقات هذا الكتاب فقد اعيد طبعها بعد التحرير . وكان للعلماء المسلمين الصينيين ولع واسع بالعلوم . وقد حدتهم استفادتهم من مزايا الغير على تقديم مساهمات جديدة فى اغناء ثقافة البلاد .

حول تعليم شرائع الاسلام ومؤلفاتها

كان استيعاب المسلمين الصينيين للفكر الاسلامى يجرى عن طريق التلقين الشفوى . وقد بدئ ، فى اواخر القرن السادس عشر ، بالتعليم الدينى فى مساجد مقاطعة شنشى . ومن هنا صار فى كل مسجد عدة طلاب يتعلمون من امامه القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد وفلسفة الاسلام وكذلك اللغة العربية والفارسية . ومن ثم انتشر هذا النظام التعليمى الى مناطق المسلمين الاخرى مع مرور الايام . وقد أعار العلماء

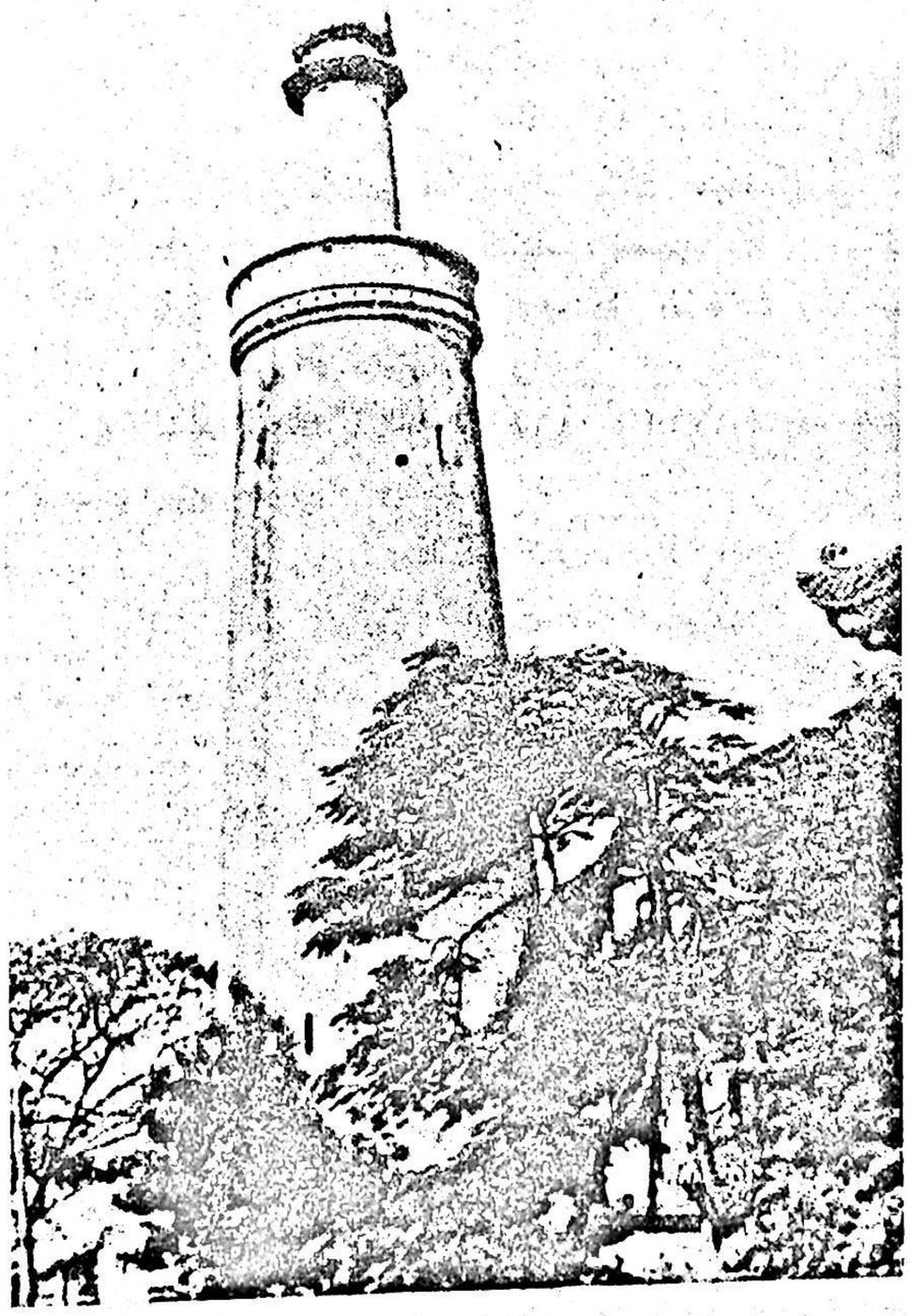

مسجد الحنين الى النبى (مسجد المنارة) فى مدينة قوانغتشو، ويقال ان بناءه تم قبل اكثر من الف سنة فى اسرة تانغ الملكية

جزء من القرآن الكريم الذى تم طبعه لاول مرة
فى الصين بطريقة النحت الخشبى فى سنة ١٨٦٢

المسلمون الصينيون ، فى القرن السابع عشر ، الاهتمام بوضع المؤلفات الدينية باللغة الصينية الكلاسيكية من جهة ، ومن جهة اخرى لجأوا الى ترجمة الكتب الدينية المكتوبة بالعربية والفارسية الى اللغة الصينية . وبذلك قدموا مساهمات بارزة .

لقد كان وانغ داى يوى (حوالى بين ١٥٦٠ – ١٦٦٠) اول من كتب عن الدين باللغة الصينية . وقد ألف كتابا بعنوان « الاجوبة الصحيحة عن الحق » اجاب فيه على التساؤلات عن الدين الاسلامى . وقد طبع هذا الكتاب مرات عديدة فى طبعات مختلفة وحظى بشعبية واسعة بين المسلمين الصينيين . وبالاضافة الى ذلك كتب « حقيقة الاسلام » و« شريعة الاسلام » وغيرهما من الكتب الخاصة بالتوحيد والفقه وأحكام الدين .

ان الشيخ يوسف ما تشو (١٦٤٠ – ١٧١١) هو مؤلف كتاب «ارشاد الاسلام» فى عشرة اجزاء . وقد تم وضعه فى عام ١٦٨٢ . اما ليو تشى (١٦٥٥ – ١٧٤٥) فهو معروف من حيث كمية التأليف والترجمة . ومن مؤلفاته « حقائق الاسلام » فى ستة اجزاء ، و« سيرة خاتم الانبياء » فى عشرين جزءا ، و« احكام الاسلام » فى عشرين جزءا الخ .

ان الشيخ ما ده شين (١٧٩٤ – ١٨٧٤) هو مؤلف مرموق وامام متبحر فى علوم الدين كان يقوم بتدريس الطلاب فى المساجد ويمارس فى الوقت نفسه الترجمة والتأليف . ومن مؤلفاته وترجماته : « خلاصة اصول الدين الاربعة » و« مقصد الحياة » و« تعريف روح الاسلام » و« احكام الدين » الخ . وقد طبع من مؤلفاته ثلاثون نوعا وهى تتناول شتى المواضيع مثل شرائع الاسلام واحكامه والفلك والجغرافيا وقواعد اللغة العربية والبلاغة .

وقد كتب بعضها على يده وبعضها الآخر بتعاونه مع غيره ، مع العلم بأن بعضها مكتوب باللغة الصينية وبعضها باللغة العربية او اللغة الفارسية ، او باللغتين معا : وقد عاجلته المنية مع الاسف بعد ترجمته خمسة اجزاء فقط من القرآن الكريم الى الصينية .

وبالاضافة الى هؤلاء العلماء الاربعة المشهورين فى عهد اسرة تشينغ الملكية فان هناك العديد من اشباههم مثل تشانغ جيون شى (١٥٦٧ – ١٦٥٧) ووو تسون تشى (حوالى بين ١٥٩٨ – ١٦٩٨) وغيرهما . وجدير بالذكر ان سليمان دو ون شيو (١٨٢٨ – ١٨٧٢) زعيم انتفاضة قومية هوى فى مقاطعة يونان لمقاومة حكم اسرة تشينغ الاقطاعى هو اول من قام بطبع القرآن الكريم فى الصين بطريقة النحت الخشبى فى سنة ١٨٦٢ ، دون نسيان الاشارة الى ان ما ليان يوان (١٨٤١ – ١٩٠٣) كان قد قام بطبع مختارات من القرآن الكريم مرفقة بالترجمات الصينية .

ان توفر المؤلفات الاسلامية فى الصين هو انعكاس لتفانى علمائنا الاولين فى سبر غور المعارف الدينية الى حد بعيد . وقد ساعد ذلك على انتشار الاسلام فى الصين .

---

* باى شو يى هو استاذ فى كلية التاريخ بجامعة بكين للمعلمين ونائب رئيس الجمعية الاسلامية الصينية .

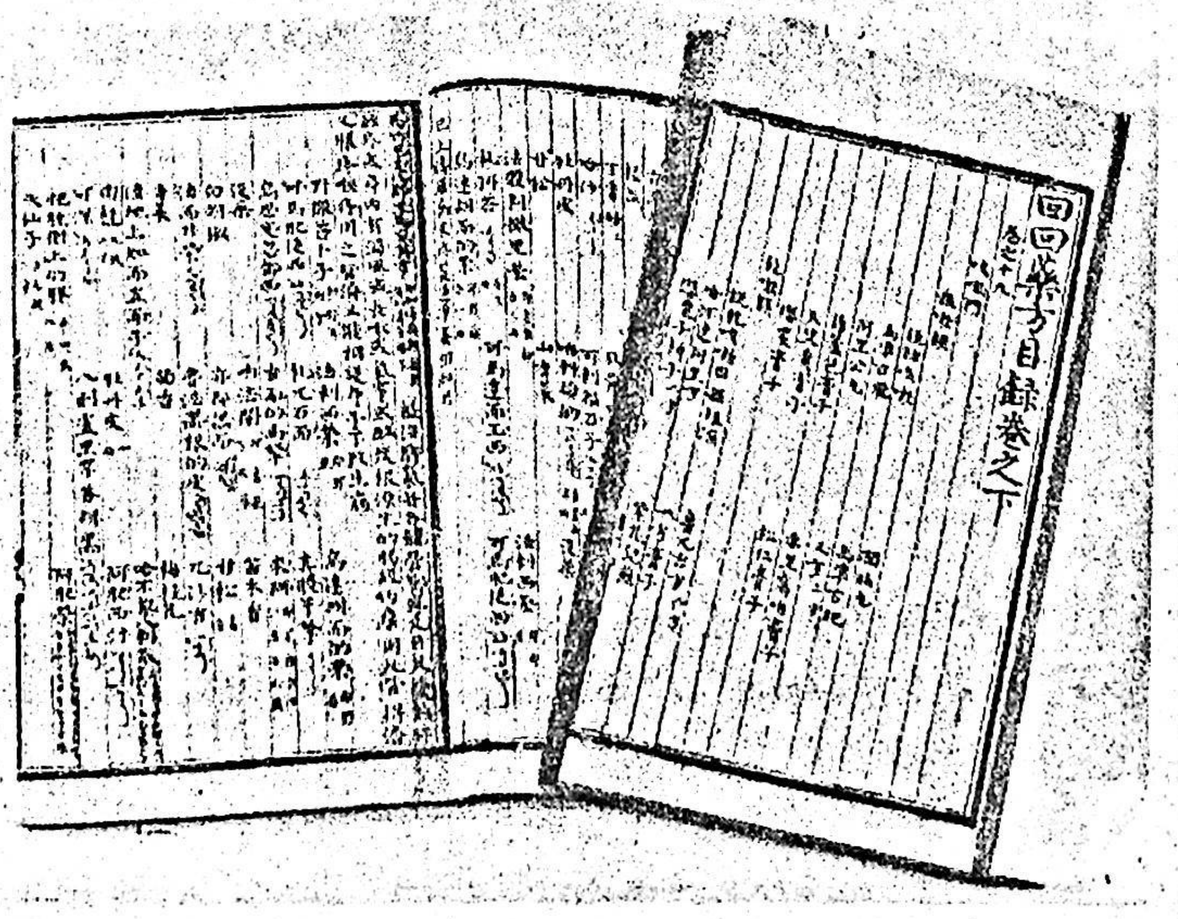

مخطوطات " وصفات الهويين الطبية " وهى موجودة حاليا فى مكتبة بكين الوطنية